العلاقات الأمريكية الروسية: هدوء ما بعد العاصفة

د. نورهان الشيخ*

عقب وصول الرئيس الأمريكى جو بايدن للبيت الأبيض، وفى إطار إندفاعة فى مواجهته لسلفه دونالد ترامب وتأكيد بداية عهد جديد تحت شعار "America Back" تُصلح فيه واشنطن ما أفسدته إدارة ترامب، صعد بايدن من نبرة الخطاب فى مواجهة موسكو باعتبار الأخيرة تشكل أكبر تهديد للولايات المتحدة على الساحة الدولية، مؤكداً أن ذلك يمثل توجه ثابت فى السياسة الأمريكية حيث يتعلق الأمر بالأمن القومى الأمريكى والمصالح الأمريكية وليس بشخص من يشغل البيت الأبيض، فى دحض مباشر لموقف ترامب حول إمكانية تجاوز التناقضات والتفاهم وتطوير التعاون مع موسكو. وفي خطابه الذى ألقاه بوزارة الخارجية الأمريكية، يوم 4 فبراير، شدد بايدن

* أستاذ العلاقات الدولية، جامعة القاهرة.

علـى مـا تمثلـه روسـيا ومعهـا الصـين مـن تحـدى وتهديـد للولايـات المتحـدة، وأن المواجهـة الأمريكيـة الروسـية مسـتمرة وسـتزداد شراسـة فـى المسـتقبل، أو علـى حـد تعبيـره أن "أيـام تراجـع الولايـات المتحـدة أمام روسيا انتهت"، وأنه جرى "رفع الثمن الذي ستدفعه روسيا".[1]

وفـى المقابـل اعتبـر الـرئيس بـوتين أن "العلاقـات بـين روسـيا والولايـات المتحـدة تراجعـت إلـى أدنـى مسـتوياتها"، وأن الـرئيس الأمريكـي جـو بايـدن سياسـي محتـرف وإنـه يأمـل منـه ألا يتخـذ أي خطـوات مندفعـة.[2] سـبق ذلـك إدراج روسـيا فـى 23 أبريـل للولايـات المتحـدة علـى قائمتهـا الرسـمية لـ "الـدول غيـر الصـديقة". وقـد صـدق بايـدن علـى تقيـيم بـوتين مؤكـداً أن الأخيـر كـان محقـا فـي قولـه إن العلاقـات بـين بلـديهما تـدهورت وبلغـت أدنـى مسـتوياتها، ورأى أن تـدني العلاقـات بـين البلـدين سـببه "عدم تصرف بوتين، في كثير من الحالات، بما يتفق مع المعايير الدولية[3]."

فقـد تـم اسـتدعاء السـفير الروسـي لـدى الولايـات المتحـدة أنـاتولي أنتونـوف إلـى موسـكو للتشـاور منتصـف مـارس 2021 بعـد تصـريحات جـو بايـدن المنتقـدة للـرئيس بـوتين. وبعـد أن فرضـت الولايـات المتحـدة عقوبـات جديـدة ضـد روسـيا فـي 15 أبريـل، تـم اسـتدعاء السـفير الأمريكـي لـدى موسـكو جـون سـوليفان إلـى وزارة الخارجيـة الروسـية وتلقـى السـفير اقتراحـا أن يسـافر إلـى واشـنطن للتشـاور، أعقـب ذلـك إعـلان السـفارة الأمريكيـة تعليـق تقـديم الخـدمات القنصـلية اعتبـارا مـن 12 مـايو. كمـا يخضـع كبـار المسـؤولين الـروس لعقوبـات أمريكيـة لأسـباب عـدة، بـدءاً مـن ضـم شـبه جزيـرة القـرم إلـى الاتحـاد الروسـي، وصـولا إلـى قضـية المعـارض الروسـي أليكسـي نافـالني. كمـا يوجـد اثنـان مـن مشـاة البحريـة الأمريكيـة السـابقين فـي السـجون الروسـية، أحـدهما أديـن بالتجسـس وسيقضـي عقوبـة السـجن لمـدة 16 عاماً، علاوة على ذلك، وصف بايدن، أثناء حوار له، نظيره الروسي بوتين بأنه "قاتل".

فـى هـذا السـياق عُقـدت القمـة الأولـى بـين بايـدن وبـوتين فـى جنيـف يـوم 16 يونيـو، والتـى وصـفها بايـدن بأنهـا كانـت "إيجابيـة"، فقـد سـاهمت فـى وقـف التـدهور فـى العلاقـات بـين البلـدين، وكـأن مـا سـبقها عاصـفة أطاحـت بـالكثير بينهمـا وجـاءت القمـة لتعيـد ترتيـب العلاقـات بـين البلـدين باتجـاه مزيـد مـن التهدئـة ووقـف التصـعيد. وكـان الاتفـاق علـى عـودة السـفراء بعـد أشـهر مـن غيابهمـا عـن العاصـمتين مؤشـر هـام علـى رغبـة الجـانبين فـى الإبقـاء علـى قنـاة للحـوار والاتصـال مفتوحـة بينهمـا، دون حلحلة للتناقضات التى تشكل معضلات فى العلاقات الأمريكية الروسية.

وعلى سبيل المثال، اتفق الطرفان على استئناف الحوار بينهما حول الأمن السيبرانى واستجاب بايدن لمطالب ألمانيا بشأن القبول أخيراً بمشروع "السيل الشمالى2"، إلا إنه بعد أربعة أيام فقط من القمة أعلنت واشنطن فرض الحزمة الثانية من العقوبات على روسيا على خلفية قضية المعارض نافالني. وكان نافالني قد نقل إلى مستشفى في برلين في اغسطس 2020 بعد اتهام بمحاولة تسميمه في روسيا وأمضى فترة نقاهة في ألمانيا استمرت نحو ستة أشهر، واعتقل فور عودته إلى روسيا في يناير 2021 وتطالب واشنطن بالإفراج عنه. وبعد بضعة أيام من اعتقال نافالني فرضت واشنطن عقوبات على سبعة مسؤولين روس كبار، وكانت تلك العقوبات الأولى التي يفرضها بايدن على روسيا. وقبيل القمة الروسية الأمريكية، وجه بايدن تحذيراً بشأن نافالني، قائلاً إن وفاة الأخير إذا حدثت "ستؤدي إلى تدهور العلاقات الروسية مع بقية العالم ومعي." وسيستمر ملف حقوق الانسان أحد القضايا الشائكة بين البلدين فى ظل قناعة بايدن "أنه لا يمكن لأي رئيس للولايات المتحدة أن يحافظ على إيمانه بالشعب الأمريكي إذا لم يتحدث علانية للدفاع عن القيم الديمقراطية، والدفاع عن الحريات العالمية والأساسية التي يتمتع بها جميع الرجال والنساء".

وتعكس قراءة القمة ونتائجها أن العلاقات الأمريكية الروسية ستسير على محورين متوازيين، يتضمن الأول تفاهمات وتعاون محدود حول القضايا الاستراتيجية التى تمس الأمن العالمى مثل الانتشار النووى والمناخ ومكافحة الارهاب وغيرها، ويشمل الثانى مواجهة حول مدى واسع من القضايا الثنائية والإقليمية، تتصاعد تارة وتهدأ أخرى دون تسوية شاملة تنهى الخلاف والتناقض بين البلدين بشأنها.

أولاً: تفاهمات محدودة حول قضايا الأمن العالمى:

هناك عدد من القضايا التى تفرض صياغة تفاهمات بشأنها بين واشنطن وموسكو، وقد أكد بايدن خلال مؤتمره الصحفى عقب القمة أنه: "لا يوجد بديل للحوار وجها لوجه بين القادة"، وأشار بوتين فى وقت سابق إلى أن هناك "قضايا يمكننا العمل فيها سوياً" مع الولايات المتحدة، بدءاً بمحادثات جديدة للحد من الأسلحة النووية، ومناقشة النزاعات الإقليمية بما في ذلك سوريا وليبيا، والتغير المناخي.

(1) قضايا التوازن الاستراتيجى:

يرى بايدن أن الولايات المتحدة وروسيا تتحملان المسؤولية عن الاستقرار الاستراتيجي في العالم،[4] باعتبارهما أكبر دولتين نوويتين، خاصة وأن كلا البلدين تعملان على تحديث ترساناتهما النووية وإحداث قفزات نوعية بها. ففى يناير 2018 أصدرت وزارة الدفاع الأمريكية (البنتاجون) وثيقة "استعراض الموقف النووي" التى تهدف إلى تعزيز الترسانة النووية الأمريكية بأسلحة جديدة ودعم قدرتها على الردع فى مواجهة روسيا خلال العقدين المقبلين. كما تعمل روسيا على تطوير قدراتها النووية وأعلن الرئيس بوتين فى رسالته السنوية للجمعية الفيدرالية الروسية (البرلمان)، فى 21 أبريل 2021، أن نسبة تحديث الثالوث النووي الروسى ستتجاوز 88% بنهاية العام،[5] ويتضمن ذلك تزويدها بمنظومات متطورة حديثة مثل الصواريخ فرط الصوتية "أفانجارد" و"تسيركون" وغيرها.

وعقب أول اتصال هاتفى بين بايدن وبوتين اتفق الطرفان في 26 يناير 2021 على تمديد معاهدة ستارت الجديدة لمدة خمس سنوات وحتى 4 فبراير 2026، يتم خلالها التوصل إلى صياغة ترضى الجانبين. [6] وتبدى الولايات المتحدة وحلف شمال الأطلسي(الناتو) قلقا بشأن الأسلحة النووية الروسية الجديدة ومخزونات روسيا من الأسلحة النووية "غير الاستراتيجية" قصيرة المدى. من جانبها تبدى روسيا قلقاً بشأن القدرات الاستراتيجية التقليدية للولايات المتحدة وأنظمة الدفاع الصاروخي الأمريكية خاصة فى شرق أوروبا. وتتضمن قضايا الاستقرار الاستراتيجي المتبادل أيضاً التقنيات العسكرية الناشئة ومن أهمها تلك الخاصة بالذكاء الاصطناعي، والأسلحة التي تفوق سرعة الصوت، والقدرات الفضائية التي تستهدف القيادة والسيطرة والاتصالات النووية القائمة على الأقمار الصناعية، ووقف تداعى نظام الحد من التسلح بعد انسحاب واشنطن من معاهدة الصواريخ قصيرة ومتوسطة المدى ومعاهدة الأجواء المفتوحة ورد موسكو بالمثل.

ومن أهم نتائج قمة جنيف اتفاق بايدن وبوتين على إطلاق حوار ثنائي حول الاستقرار الاستراتيجي، مؤكدين تمسك موسكو وواشنطن بضرورة منع شن حرب نووية لا يمكن أن يكون فيها منتصر ويجب ألا يتم شنها أبدا، وأنهما يسعيان من خلال إطلاق هذا الحوار إلى وضع أساس للمراقبة المستقبلية للأسلحة والإجراءات لتخفيض الأخطار. إلا إن مثل هذه التفاهمات لن توقف سباقات التسلح النوعية بين الطرفين، وتوظيف أكبر للذكاء الاصطناعي فى الأغراض العسكرية وفي تطبيقات متنوعة منها الطائرات والمركبات ذاتية القيادة، وإطلاق الأسلحة السيبرانية

أو الأسلحة الحقيقية. من المتوقع كذلك أن يستمر التنافس الأمريكى الروسى فى سوق السلاح العالمى حيث تنظر واشنطن بقلق إلى تحركات روسيا لزيادة صادراتها من الأسلحة خاصة للأسواق التقليدية للسلاح الأمريكى، وسوف تستمر فى التلويح بتفعيل قانون "مواجهة أعداء أمريكا عبر العقوبات (CAATSA)" الموجهة ضد روسيا وإيران وكوريا الشمالية، والذى بدأ سريانه في 29 يناير 2018 لعرقلة الصفقات الروسية مع شركاء واشنطن.[7]

(2) التعاون فى مجال المناخ:

هناك تعاون متنامى بين واشنطن وموسكو حول قضايا المناخ، وأجرى المبعوث الرئاسي الأمريكي لشؤون المناخ جون كيري مباحثات بموسكو يوم 13 يوليو مع نظيره رسلان إيدلجيرييف حول التنمية منخفضة الكربون، والاتجاهات الراهنة في مجال إزالة الكربون من التجارة العالمية. وأكد الطرفان رغبتهما في "ترك الخلافات السياسية جانبا من أجل التصدي المشترك لتغير المناخ، وتمسكهما بحوار صريح ونزيه للقضايا المتعلقة بالسياسات المناخية الدولية". وتم الاتفاق على "توسيع التعاون العلمي بين البلدين" فى هذا المجال، وأشار الجانبين إلى وجود موارد كبيرة لدى الولايات المتحدة وروسيا لإنشاء قطاعات اقتصادية جديدة، بما في ذلك تصنيع الهيدروجين الصديق للبيئة وتطوير تقنيات امتصاص الكربون من الغلاف الجوي ونشر مفاعلات نووية من الجيل الرابع[8].

(3) التعاون فى مجال مكافحة الارهاب:

رغم أن التحالف الدولى لمكافحة الارهاب الذى تقوده الولايات المتحدة لا يضم روسيا إلا إن هناك تعاون هام بين واشنطن وموسكو فى مجال مكافحة الارهاب يتضمن تبادل المعلومات حول التنظيمات الارهابية وتحركات عناصرها وخططهم. وأعلن الرئيس بوتين فى 25 أكتوبر 2020 عن ارتياح موسكو لمستوى تعاونها مع واشنطن في مجال مكافحة الإرهاب، وأن المعلومات المقدمة من الولايات المتحدة أسهمت مرارا في إحباط هجمات إرهابية في روسيا، وأن موسكو من جانبها تقوم بالمثل.[9] ومثال ذلك، ما كشفت عنه شركة "روساتوم" الحكومية الروسية من أن

الخارجية الروسية تسلمت وثيقة غير رسمية من السفارة الأمريكية عام 2020 تتضمن تحذيرا من محاولات محتملة لعناصر "داعش" للوصول إلى مصادر إشعاعية ومواد نووية في روسيا.

(4) التعاون فى مجال الفضاء:

هناك تعاون ممتد بين واشنطن وموسكو فى مجال الفضاء، وإلى جانب الرحلات الفضائية المشتركة بين البلدين، تقوم روسيا بتزويد الولايات المتحدة بمحركات الصواريخ الفضائية، وأشار المدير العام لشركة "إينيرجوماش" الروسية، إيجور أربوزوف، أن الشركة تقوم بتزويد الولايات المتحدة بمحركات صواريخ الفضاء "RD-180" و"RD-181" وفقا للعقود الموقعة حتى عام 2021، وأكد سعى روسيا لضمان استمرار هذه التعاون في المستقبل. وأشار إلى أن الصواريخ الفضائية الأمريكية من نوع "أطلس-3" و"أطلس-5" والتي تعتمد على المحركات الروسية قد استخدمت للقيام بـ 85 مهمة فضائية منذ العام 1999، وأن الولايات المتحدة تسلمت 116 محركا من نوع "RD-180" و"RD-181" حتى يوليو 2019.

وأوضحت وكالة "روس كوسموس" الروسية أن روسيا ستتابع تصدير محركات "RD-180" إلى الولايات المتحدة، وذلك ضمن صفقة عقدت بين الجانبين عام 1997 بلغت قيمتها مليار دولار، وتنص على تزويد أمريكا بـ 101 محركا من هذا النوع. وأشارت وكالة "ناسا" الأمريكية أن المركبة الفضائية الأمريكية "Dream Chaser" من المفترض أن تطلق نحو محطة الفضاء الدولية عام 2021، محمولة على صواريخ "أطلس-5"، التي تعمل بمحركات "RD-180" روسية الصنع، لتصبح جزءا من منظومة الشحن الفضائية التي توفر نقل الرواد والبضائع من وإلى محطة الفضاء الدولية.

وعلى خلفية أزمة القرم أصدر الكونجرس الأمريكي عام 2014 قراراً يمنع استخدام محركات الصواريخ الروسية في الولايات المتحدة بعد عام 2019، إلا أنه تراجع عن القرار بسبب عدم قدرة الولايات المتحدة على إنتاج بدائل لهذه المحركات لاستخدامها في صواريخ "أطلس-5"، وسمح فيما بعد لشركة "United Launch Alliance" الأمريكية التي تصنع صواريخ "أطلس-5" أن تستورد 20 محركا من طراز "RD-180" من " إينيرجوماش" الروسية.[10] ومن المتوقع أن يستمر

التعاون بين البلدين فى هذا المجال مستقبلاً طالما استمرت عدم قدرة واشنطن علي استخدام محركات أمريكية يمكنها أن تحل محل المحركات الروسية.

ثانياً: قضايا المواجهة والتنافس الأمريكي الروسي:

منذ تفكك الاتحاد السوفيتى وغياب البعد الأيديولوجى أصبحت العلاقات الدولية أكثر مرونة وتقودها المصالح فتتعاون الدول حين تلتقى، وتتنافس وتتصارع متى تناقضت. وتعتبر العلاقات الأمريكية الروسية نموذج واضح لذلك، فالتفاهمات والتعاون بينهما على النحو السابق إليه يتوازى مع تناقضات حادة ومواجهات بينهما فى مدى واسع من القضايا، أهمها:

(1) المواجهة السيبرانية:

تعتبر الهجمات السيبرانية التى تتهم واشنطن روسيا بالتورط فيها وإيواء الجماعات التى تقوم بها تحدي رئيسي في العلاقات بينهما خاصة وأن بايدن يعطى الملف السيبرانى أولوية واضحة وانتقد إدارة ترامب التى لم تتمكن، من وجهة نظره، من جعل الأمن السيبراني ضمن أولويتها. فقد أكد بايدن، فى 28 ديسمبر، أن الولايات المتحدة يجب أن تكيف أولوياتها الدفاعية على خلفية "التعقيدات الاستراتيجية المتزايدة التي خلقتها روسيا والصين ... وأنه يجب الابتكار وإعادة التفكير في التهديدات المتزايدة في مجالات جديدة مثل الفضاء السيبرانى"[11]. وهدد بايدن " أن الولايات المتحدة سترد بشكل قوي على تورط الحكومة الروسية في أنشطة خبيثة[12]."

وكانت الولايات المتحدة قد اتهمت روسيا بالعديد من الهجمات السيبرانية من أبرزها التدخل في الانتخابات الأمريكية والهجمات السيبرانية على الشركات الخاصة والأجهزة الحكومية الأمريكية، وهجوم رانسوم وير الذي أغلق خط أنابيب كولونيال، واختراق أنظمة حواسيب تابعة للجنة الوطنية للحزب الجمهوري الأمريكي، وغيرها. وعلى الرغم من أن الحكومة الروسية لم تكن مرتبطة بشكل مباشر بهذه الهجمات، إلا أن إدارة بايدن اتهمت موسكو بعدم اتخاذ إجراءات صارمة ضد الجرائم السيبرانية، وأشار وزير الخارجية أنتوني بلينكين إلى إنه: "لا ينبغي لأي دولة مسؤولة أن تشارك بأي شكل من الأشكال في إيواء المنظمات الإجرامية المنخرطة في الهجمات السيبرانية، بما في ذلك برامج الفدية التي تعمل من الأراضي الروسية ". فى المقابل نفت الحكومة الروسية أكثر من مرة الاتهامات الأمريكية والغربية بالقرصنة ضدها والتدخل في شؤونها الداخلية،

مشيرة إلى عدم تقديم أي أدلة تدعم هذه الاتهامات، وأنه لا علاقة لها من قريب أو بعيد بالأنشطة الخبيثة التي تتحدث عنها الولايات المتحدة.

وخلال قمة جنيف تمت مناقشة قضايا الأمن المعلوماتي ومكافحة الجرائم السيبرانية، وفى الاتصال الهاتفى بين بايدن وبوتين يوم 9 يوليو بحث الجانبين "الهجمات المستمرة المنفذة باستخدام برامج الفدية من قبل مجرمين متمركزين في روسيا والتي طالت الولايات المتحدة ودولا أخرى"، على حد زعم واشنطن. وشدد بايدن على "ضرورة اتخاذ روسيا إجراءات لمنع أنشطة المجموعات التي تستخدم برامج الفدية وتعمل في الأراضي الروسية، مؤكدا أنه ملتزم بشكل صارم بمواصلة مكافحة التهديد النابع عن برامج الفدية." كما شدد بايدن، على أن "الولايات المتحدة ستتخذ كل الخطوات الضرورية لحماية شعبها وبنيتها التحتية الحيوية في مواجهة هذا التحدي المستمر." واعتبر بايدن أن الحكومة الروسية قد لا تفعل ذلك بنفسها لكنها تقدم الحماية لمن يفعل ذلك[13]." وقد أطلق البلدان حوار بينهما على مستوى الخبراء حول الأمن السيبراني والتعاون الممكن فى هذا المجال.

(2) المواجهة على الساحة الأوروبية:

تعتبر أوروبا ساحة المواجهة الرئيسية بين واشنطن وموسكو، ويتضمن ذلك العديد من القضايا الإستراتيجية، أولها، تجدد التوتر حول أوكرانيا. منذ وصول بايدن للبيت الأبيض عاد التوتر مرة أخرى مع موسكو حول أوكرانيا وذلك عقب فترة من الأنفراج النسبى فى الأزمة تم خلالها استئناف عقد قمة "رباعية النورماندي" للتسوية السلمية للأزمة فى 9 ديسمبر 2019 فى باريس بعد توقف أربع سنوات، والتى تضم رؤساء كل من روسيا وأوكرانيا وفرنسا والمستشارة الألمانية، كما أعلن ممثلو جمهوريتي دونيتسك ولوجانسك (شرق أوكرانيا) عن إلتزامهم بوقف إطلاق نار كامل وغير محدد مع كييف بدءاً من 27 يوليو 2020. إلا إن مطلع أبريل 2021 شهد تصعيداً شديداً حول أوكرانيا، ففى 2 أبريل شدد بايدن، على دعم واشنطن لوحدة أوكرانيا وسيادتها في وجه ما سماه "العدوان الروسي" وذلك خلال اتصال هاتفي أجراه مع الرئيس الأوكراني فلاديمير زيلينسكي.[14] سبق ذلك في الأول من أبريل، اتصال وزير الدفاع الأمريكي، لويد أوستن،

بنظيره الأوكراني، وقدّم ضمانات أمريكية لدعم أوكرانيا حال نشوب صراع عسكري مع روسيا، ورفعت القيادة الأمريكية مستوى استعدادها في أوروبا إلى أقصى المستويات. وفي 11 يونيو أعلنت وزارة الدفاع الأمريكية تخصيص مساعدات عسكرية إضافية لأوكرانيا بمبلغ 150 مليون دولار لتعزيز قدراتها الأمنية، إضافة إلى مساعدة بمبلغ 125 مليون دولار سبق إقرارها في مارس[15].

كذلك تعهد بايدن في ختام قمة حلف الناتو التي انعقدت في بروكسل فى 14 يونيو، بأن يدافع عن "وحدة أراضي" أوكرانيا، مشددا على أن ذلك يمثل إرادته وإرادة الناتو، وأدان بايدن ما وصفه "بالأعمال العدوانية الروسية"، وأوضح أن استمرار النزاع في منطقة دونباس شرق أوكرانيا لن يكون عائقا أمام انضمام البلاد إلى الناتو، مشيرا إلى أن هذه المسألة سيحسمها في نهاية المطاف كل أعضاء الحلف، وأن واشنطن ستفعل كل ما بوسعها "لكي تكون أوكرانيا قادرة على مواجهة العدوان المباشر من قبل روسيا"، ووعد بايدن أيضا بأن يحدد للرئيس الروسي فلاديمير بوتين "خطوطه الحمراء"، خلال قمة جنيف.[16]

فى هذا السياق عاد التوتر بين واشنطن وموسكو حول أوكرانيا بداية بأزمة الحشود العسكرية الروسية بالقرب من الحدود الأوكرانية وكذلك في شبه جزيرة القرم مطلع أبريل مما أثار قلق كييف وواشنطن، فى حين أكدت موسكو أنها تدريبات ومناورات عسكرية لاختبار الجاهزية القتالية ردا على ما وصفته بسلوك ينطوي على تهديد من جانب الناتو، وقامت بسحبها لاحقا مؤكدة على إنها ليست طرفا في النزاع بشرق أوكرانيا. وقيام كييف بنشر قواتها على الحدود مع جمهوريتي دونيتسك ولوجانسك، وتجدد الاشتباكات بكثافة في أبريل 2021 بعدما توقف المعارك بشكل شبه تام منذ التوصل إلى هدنة في يوليو 2020. ثم مناورات الناتو "المدافع عن أوروبا 2021" في منطقة البحر الأسود، والتي أثارت حفيظة موسكو، وإعلان وزير الدفاع الروسي سيرجي شويجو فى 31 مايو عن إنشاء 20 تشكيلا ووحدة عسكرية جديدة في المنطقة العسكرية الغربية غرب روسيا بنهاية عام 2021 ردا على تحركات دول الناتو خاصة الولايات المتحدة في الاتجاه الاستراتيجي الغربي، وكثافة التحليقات لطيرانها الاستراتيجي، ونشرها سفنا حربية مزودة بصواريخ كروز، وزيادة عدد تدريباتها العسكرية هناك.

ومن المتوقع أن يستمر التوتر خاصة مع عودة كييف لطرح قضية استعادة شبه جزيرة القرم حيث دعا زيلينسكي القوى الدولية وفى مقدمتها الولايات المتحدة والاتحاد الأوروبى للمشاركة فى

"منصة القرم" لمناقشة مسألة عودة القرم، في 23 أغسطس، هذا فى حين انتقدت موسكو تصريحات كييف حول استراتيجياتها "لإعادة شبه جزيرة القرم وسيفاستوبول" وأكدت أنها "تعتبر جهود كييف غير شرعية، وتهديد بالعدوان على كيانين فيدراليين روسيين"، وأنها ستنظر في حال مشاركة أي دولة ومنظمة في مثل هذه الأعمال، بما في ذلك مبادرة "منصة القرم"، باعتبارها خطوة غير ودية تجاه روسيا، وتعديا مباشرا على وحدة أراضيها."

ومن المرجح أيضاً أن تستمر العقوبات الأمريكية والغربية المفروضة على روسيا على خلفية الأزمة الأوكرانية، مع استمرار بعض الاحتكاكات العسكرية بين البلدين فى البحر الأسود وبحر البلطيق، ومثال ذلك ما حدث فى 31 مايو حين رافقت مقاتلة روسية من نوع "سو 27" قاذفة استراتيجية أمريكية من نوع "بي 52 إيتش" قرب حدود روسيا فوق بحر البلطيق، وفى 11 يوليو رافقت مقاتلتان روسيتان طائرتي استطلاع أمريكيتين من طرازي "إي بي – 3 إي آريس" و"سي إل–600 تشالنجر"، تابعتان للقوات الجوية الأمريكية فوق البحر الأسود.

ثانيها، استمرار التنافس الأمريكى الروسى على سوق الطاقة الأوروبى، فمنذ عام 2016 دخلت الولايات المتحدة سوق الطاقة كمصدر، وأصبحت رابع أكبر مصدر للنفط والغاز بحلول عام 2020. وتتحرك واشنطن فى هذا الصدد على محورين. الأول، زيادة الصادرات الأمريكية من الطاقة لأوروبا، وقيام العديد من الشركات الأمريكية، مثل شركة "شينير" وغيرها، بتوقيع عقودا طويلة الأجل لتوريد الغاز المسال مع شركات أوروبية، وهو ما اعتبرته روسيا محاولة لإزاحتها من سوق الطاقة الأوروبي عبر دفع أوروبا للاعتماد على الغاز الأمريكي المسال، رغم سعره المرتفع. وتعد أوروبا أكبر وأهم أسواق الطاقة لروسيا وضرب روسيا به سيوجعها ويهدد استقرارها الاقتصادى ومن ثم الاجتماعى والسياسى. أما المحور الثانى فيتمثل فى عرقلة مشاريع نقل الغاز الروسى لأوروبا بهدف دعم تسويق الغاز الأمريكى المسال لأوروبا، ونجحت واشنطن فى وقف مشروع "السيل الجنوبي" بضغوطات شديدة على بلغاريا التى كانت معبر أساسى له. كما أبدت الولايات المتحدة معارضة شديدة لمشروع "السيل الشمالي2" لنقل الغاز الروسي إلى ألمانيا مباشرة عبر قاع بحر البلطيق دون المرور بدول ترانزيت، وفرضت عقوبات على الشركات العاملة به،[17] حتى تغير الموقف الأمريكى عقب القمة الأمريكية الألمانية فى 15 يوليو حفاظاً على العلاقات مع ألمانيا كحليف وشريك هام لواشنطن، ولأن المشروع أصبح أمر واقع مستحيل إقافه على حد تعبير بايدن كونه اكتمل بنسبة 99%، واتفق بايدن والمستشارة الألمانية انجيلا ميركل على

استمرار المشروع مع مراعاة مصالح أوكرانيا.[18] وسيظل سوق الطاقة الأوروبى ساحة أساسية للتنافس بين واشنطن وموسكو، باعتباره الأضخم والأقرب للولايات المتحدة كما أنه الأكثر جدوى اقتصادياً.

(3) الفضاء السوفيتى:

يعتبر الفضاء السوفيتى السابق ساحة رئيسية للتنافس الأمريكى الروسى، ورغم أن موسكو استعادت مدى واسع من نفوذها فى المنطقة عبر منظمة معاهدة الأمن الجماعى التى تمثل حلف سياسى عسكرى يضم روسيا وخمسة من دول المنطقة (بيلاروسيا، كازاخستان، طاجكستان، قرجيزستان، أرمينيا)، والاتحاد الأوروسى كاتحاد اقتصادى بمنطقة تجارة حرة واحدة بين روسيا وأربعة من دول المنطقة (بيلاروسيا، كازاخستان، قرجيزستان، أرمينيا)، إلا إن الولايات المتحدة تواصل مساعيها للتغلغل فى المنطقة استراتيجيا واقتصاديا بالنظر لأهميتها كخاصرة لروسيا وجوار مباشر للصين.

فى هذا السياق تبرز مجموعة من القضايا، أولها الأزمة السياسية التى إندلعت فى بلوروسيا على خلفية الانتخابات الرئاسية التى تم إجراؤها فى 9 أغسطس 2020، وفاز فيها الرئيس الحالي ألكسندر لوكاشينكو بأكثر من 80% من الأصوات، يليه زعيمة المعارضة سفيتلانا تيخانوفسكايا بنسبة 10.12%، ولم تعترف المعارضة بهذه النتائج واعتبرت تيخانوفسكايا الفائزة الحقيقية في الانتخابات، مما أدى إلى موجه واسعة من الاحتجاجات وغادرت تيكانوفسكايا إلى ليتوانيا، وأعلن لوكاشينكو إغلاق الحدود مع ليتوانيا وبولندا. وقد رفض الاتحاد الأوروبي نتائج الانتخابات وأكد أنه بمجرد "انتهاء ولاية لوكاشينكو فى 5 نوفمبر 2020، فإنه لا يعترف به رئيسا للبلاد، ورحّب بتأسيس المعارضة البيلاروسية "مجلس التنسيق" برئاسة تيخانوفسكايا، واعتبروه " ممثلًا مؤقتًا للشعب مكررين المطالبة "بإجراء انتخابات جديدة حرة ونزيهة في أسرع وقت ممكن وتحت إشراف دولي"، وتم فرض عقوبات أوروبية ضد النظام في بيلاروسيا والرئيس لوكاشينكو. وفى المقابل دعمت موسكو لوكاشينكو واعتبرت ما يحدث تدخلاً غير مقبول في شؤون بيلاروسيا، وإمتداد للثورات الملونة التى بدأت بدعم من الولايات المتحدة فى جورجيا ثم أوكرانيا ومنها إلى قرجيزستان.

ورغم إن أزمة الانتخابات تم تجاوزها فإن التصعيد ضد بلوروسيا التى تعتبر ركيزة النفوذ الروسى فى المنطقة لم ينته، وإزداد حدة على خلفية مجموعة من التطورات، ففى 21 يونيو 2021 فرضت الولايات المتحدة وكندا والاتحاد الأوروبي عقوبات ضد النظام في بيلاروسيا، وتم تجميد حزمة استثمار أوروبية تبلغ 3 مليارات يورو على خلفية اعتراض السلطات البيلوروسية طائرة مدنية لشركة "راين إير" واعتقال ناشط بيلاروسي معارض كان على متنها يوم 23 مايو. وفى المقابل علقت بيلاروسيا مشاركتها في "الشراكة الشرقية" مع الاتحاد الأوروبى واستدعت سفيرها لديه. وعقب قيام بيلاروسيا بإغلاق حدودها مع أوكرانيا لدواعى أمنية تعهدت الإدارة الأمريكية، يوم 3 يوليو، بأن تواصل واشنطن محاسبة حكومة لوكاشينكو في بيلاروسيا على أفعالها. وفى 20 يوليو أكدت السفيرة الأمريكية لدى بيلاروسيا، جولي فيشر، إن الإدارة الأمريكية، بالشراكة مع كندا ودول الاتحاد الأوروبي، تواصل تنسيق إجراءات جديدة للضغط الاقتصادي على مينسك[19]. وترى موسكو إن هذه الإجراءات التصعيدية تستهدفها عبر بيلوروسيا، وأن الهدف الحقيقى هو إخراج الأخيرة من دائرة النفوذ الروسى كما حدث فى أوكرانيا ومن قبلها جورجيا.

أما ثانيهما فيتعلق بقلق موسكو من تداعيات الانسحاب الأمريكى من أفغانستان على منطقة آسيا الوسطى، فمن ناحية تخشى موسكو من فوضى الحرب في شمال أفغانستان بعد الانسحاب الأمريكى واستغلالها من جانب مسلحو تنظيم "داعش" حيث يقبع ما بين 3 و4 آلاف عنصر من داعش على الحدود الطاجيكية الأفغانية. ومن ناحية أخرى فإن موسكو ترفض تماما نقل الوجود العسكري الأمريكي الدائم إلى بلدان آسيا الوسطى المجاورة لأفغانستان. وقد أشار وزير الخارجية الروسي سيرجي لافروف أن واشنطن تسعى لاستمرار وجودها العسكري في آسيا الوسطى بعد مغادرة قواتها من أفغانستان بغية التأثير على الأوضاع في المنطقة، مؤكداً أن ظهور قواعد عسكرية أمريكية جديدة في آسيا الوسطى لا يصب في مصلحة المنطقة. وأن مسألة وجود قوات أجنبية في بلدان منظمة معاهدة الأمن الجماعي يجب أن يتم تنسيقها داخل المنظمة، وأنه لم تقدم أية من هذه الدول طلبا بإجراء مشاورات حول هذا الموضوع داخل منظمة معاهدة الأمن الجماعي. وفى هذا السياق كثفت موسكو من اتصالاتها لإحباط أى محاولة أمريكية فى هذا الصدد، ففي الأول من يوليو عقدت منظمة معاهدة الأمن الجماعي اجتماعا في دوشانبه، عاصمة طاجيكستان، لمناقشة الوضع في أفغانستان، كما عُقد مؤتمر طشقند حول آسيا الوسطى والجنوبية فى 16 يوليو، وحذر لافروف خلاله من خطر انتقال الفوضى من أفغانستان إلى الدول المجاورة، مؤكدا أن حلفاء روسيا في المنطقة يرفضون استضافة قواعد أمريكية[20].

(4) الشرق الأوسط:

تعتبر منطقة الشرق الأوسط أحد ساحات التنافس الاستراتيجى الأمريكى الروسى، بآليات ومضمون يختلف جذرياً عما كان عليه الحال زمن الحرب الباردة، فالولايات المتحدة تقوم بإعادة تعريف وصياغة مصالحها فى الشرق الأوسط بعد أن دخلت سوق الطاقة العالمى كمصدر كبير، وأصبح من بين أولوياتها تحجيم النفوذ الروسى بالمنطقة، وذلك فى الوقت الذى يزداد الحضور الروسى فى المنطقة قوة وتأثير. ومن الخطأ الاعتقاد بأن تصاعد التنافس الاستراتيجى بين واشنطن وموسكو فى المنطقة يعنى بالضرورة غياب التفاهمات بينهما، أو اتخاذ أياً منهما حتماً موقفاً مناقضاً للأخرى فى مختلف القضايا، فالمصالح ستظل هى المحدد الرئيسى لمواقفهما.

ومن قضايا المنطقة التى تحظى بتوافق البلدين هى تلك الخاصة بالملف النووى الإيرانى حيث يبدى بايدن مرونة نسبية فيما يتعلق بإيران، ولا يوجد لديه اعتراض من حيث المبدأ على العودة للاتفاق النووى مع إيران، وتم بالفعل عقد 6 جولات من مفاوضات فيينا في إطار اللجنة المشتركة للاتفاق النووي لصياغة اتفاق لعودة واشنطن للاتفاق ورفع الحظر الأمريكي على إيران. وتلقى هذه الخطوات الأمريكية ترحيب روسيا التى طالما شددت على ضرورة الإلتزام بالاتفاق النووي الإيراني، واعتبرت أن انسحاب واشنطن منه يتناقض مع قرارات مجلس الأمن الدولي 2231، الذى أقر الاتفاق.

إلا إن التناقضات تبرز ويتراجع التوافق كثيراً فى الملفات الأخرى لاسيما المتعلقة بسوريا وليبيا. فرغم توافق موسكو وواشنطن فى مجلس الأمن الدولي حول قرار تمديد آلية إيصال المساعدات الإنسانية إلى سوريا عبر معبر باب الهوى لمدة 12 شهرا إضافية وذلك عقب اتصال هاتفى بين بايدن وبوتين فى 9 يوليو، فإن التناقض بين البلدين حول سوريا يظل قائماً. فهناك توجه واضح لدى بايدن للاحتفاظ بالتواجد العسكرى الأمريكى فى سوريا تحت مظلة الاستمرار في محاربة داعش وغيرها من التنظيمات الارهابية، و"ضرورة الإبقاء على الانخراط" في سوريا. فى هذا الاطار، قامت القوات الأمريكية بنقل جنود وأسلحة ومعدات من العراق الى قواعدها فى سوريا أكثر من مرة، منها يوم 23 يناير لحقل كونيكو شمال شرقي دير الزور، ويوم 5 فبراير لقاعدة الشدادي جنوب ريف الحسكة، وفى 7 يونيو باتجاه تل حميس وريف الحسكة. وتتعارض هذه الخطوات الأمريكية مع الأولويات الروسية الهادفة إلى تقليص وإنهاء أى تواجد أجنبى "غير

صديق" فى سوريا لاسيما الأمريكى وحلفائه الدوليين والإقليميين، وتدعو روسيا لرفع العقوبات الأمريكية والغربية على سوريا والسحب الكامل للتواجد العسكري للولايات المتحدة وبعض الدول الغربية من شمال شرق سوريا، كما تسعى موسكو إلى تفكيك مخيم الركبان وإنهاء الوجود العسكرى الأمريكى فى قاعدة التنف.

على صعيد أخر، تعتبر ليبيا ساحة أخرى للمواجهة بين النفوذ الأمريكى والروسى، فمن الواضح أن توجه إدارة بايدن هو نحو إعادة الإمساك بزمام الأزمة الليبية وتقليص النفوذ الروسى إلى أدنى مستوى ممكن، وتحريك الملف الليبي فى سلم أولويات السياسة الخارجية الأمريكية وإعادة تفعيل خطوط الاتصال بين الأوساط الليبية ودوائر صنع القرار الأمريكي التي تعطلت خلال فترة إدارة الرئيس السابق ترامب، وذلك بعد فترة تراجع فيها الملف وانتقلت فيها إدارة ترامب إلى الاعتماد على تركيا فى إدارة الأزمة ومواجهة التمدد الروسى بالوكالة.

وقد انعكس ذلك بوضوح فى عدة خطوات أمريكية من أبرزها الدور المهيمن لواشنطن خلال ملتقى الحوار السياسي الليبي الذى تم تحت رعاية أممية، يوم 5 فبراير 2021، وأسفر عن اختيار سلطة جديدة تتولى إجراء انتخابات رئاسية وبرلمانية في 24 ديسمبر، وكذلك فى مؤتمر "برلين 2" فى 23 يونيو، الذى تراجع التمثيل الروسى فيه إلى مستوى نائب وزير الخارجية، وركزت مخرجاته على ضرورة انسحاب القوات الأجنبية فى ليبيا فى إشارة للوجود الروسى. وتنفى روسيا أي مسؤولية لها عن وجود آلاف من عناصر شركة فاجنر الروسية فى ليبيا، وكذلك سعيها لإقامة قاعدة عسكرية هناك.

خاتمة:

تحظى العلاقات الأمريكية الروسية باهتمام عالمى من جانب الساسة والمحللين بالنظر لكونها متغير هام يحكم الاستقرار الدولي والإقليمى، والمدقق فى مسار العلاقات بين واشنطن وموسكو منذ الحرب العالمية الأولى وعلى مدى قرن من الزمان يجد أنه كان هناك دوماً تناقضاً حضارياً ومصلحياً جوهرياً بينهما حتى فى أقوى فترات التقارب والدفئ فى العلاقة بين البلدين خلال الحرب العالمية الثانية حين تخندق الجانبان معاً فى مواجهة هتلر. ورغم زوال التناقض الأيديولوجى بين الولايات المتحدة وروسيا بتفكك الاتحاد السوفيتى وتبلور التفاهمات بين البلدين

حول عدد من القضايا الاستراتيجية، فإن التناقض المصلحى كان وسيظل هو السمة الغالبة على العلاقات الأمريكية الروسية، وإن اختلف مضمون ومعطيات هذا التناقض.

وقد جاءت الخطوات الأولى لإدارة بايدن بمثابة العاصفة التى ايقظت هذه التناقضات واشعلت المواجهة والتنافس بين واشنطن وموسكو، إلا إن قمة جنيف نجحت فى نزع فتيل التصعيد لتعود العلاقات بينهما إلى مسارين يحكمهما بوصلة المصالح ومدى توافقها أو تناقضها، أولهما تعاونى محدود بقضايا الأمن العالمى، والثانى أشمل وأبعد مدى ويتضمن المواجهة حول مدى واسع من القضايا والتنافس فى فضائات مختلفة، الأوروبى والسيبرانى والسوفيتى والشرق أوسطى، ولكن بمعطيات وأدوات مختلفة عن سابقتها فى فترة الحرب الباردة. وسيظل التوتر هو الاتجاه الأرجح للعلاقات بين واشنطن وموسكو بالنظر لعمق التناقضات المصلحية القائمة بين البلدين وعدم قدرة أى منهما على تقديم تنازلات تسمح بإنفراج هذا التوتر.

الهوامش:

[1] Remarks by President Biden on America's Place in the World, The White House, February 4, 2021, (https://www.whitehouse.gov/briefing-room/speeches-remarks/2021/02/04/remarks-by-president-biden-on-americas-place-in-the-world/)

[2] Путин: Отношения России и США сейчас находятся на самом низком уровне, Российская газета, 12.06.2021, (https://rg.ru/2021/06/12/putin-otnosheniia-rossii-i-ssha-sejchas-nahodiatsia-na-samom-nizkom-urovne.html)

[3] Biden agrees U.S.-Russian relations are at a 'low point' ahead of meeting with Putin, nbcnews, June 13, 2021, (https://www.nbcnews.com/politics/white-house/ahead-meeting-putin-biden-agrees-u-s-russian-relations-are-n1270610)

[4]BBC, 10 June 2021, (https://www.bbc.com/news/world-us-canada-57422348)

[5] Послание Президента Федеральному Собранию, 21.04.2021, **(**http://duma.gov.ru/news/51307/**)**

[6] New START Treaty, U.S. Department of State, (https://www.state.gov/new-start/)

[7] Лавров заявил о применяющих «налево и направо» санкции властях США, РБК, 14 дек 2020, https://www.rbc.ru/rbcfreenews/5fd7b9fd9a7947dc69c4b977

[8] Special Presidential Envoy for Climate John Kerry's Call with Russian President Putin During Meetings in Moscow, Russia, U.S. Department of State, July 14, 2021, (https://www.state.gov/special-presidential-envoy-for-climate-john-kerrys-call-with-russian-president-putin-during-meetings-in-moscow-russia/)

[9] RT, 25.10.2020, (https://arabic.rt.com/russia/1167120)

[10] Россия в 2021 году отправит в США последние ракетные двигатели РД-180, РИА Новости, 08.04.2021, (https://ria.ru/20210408/dvigateli-1727294942.html)

[11] Байден призвал США ответить на "вызовы" со стороны России, РИА Новости, 29.12.2020, https://ria.ru/20201229/bayden-1591315120.html

[12] Biden warns Russia against 'harmful activities' at start of first official trip, BBC, 10 June 2021, (https://www.bbc.com/news/world-us-canada-57422348)

[13] Biden presses Putin to act on ransomware attacks, hints at retaliation, Reuters, July 10, 2021, (https://www.reuters.com/technology/biden-pressed-putin-call-act-ransomware-attacks-white-house-2021-07-09/)

[14] Biden offers Ukraine 'unwavering support' in faceoff with Russia, Reuters, April 2, 2021, (https://www.reuters.com/world/europe/biden-affirms-us-unwavering-support-ukraine-call-statement-2021-04-02/)

[15] Defense Department Announces $150 Million in Assistance for Ukraine, U.S. Department of Defense, JUNE 11, 2021, (https://www.defense.gov/Newsroom/Releases/Release/Article/2655569/defense-department-announces-150-million-in-assistance-for-ukraine/)

[16] Remarks by President Biden in Press Conference, The White House, JUNE 14, 2021, (https://www.whitehouse.gov/briefing-room/speeches-remarks/2021/06/14/remarks-by-president-biden-in-press-conference-3/)

[17] Песков назвал санкции против «Северного потока- 2» одним из элементов гибридной войны, 21.12.2020, https://www.kommersant.ru/doc/4625422

[18] Joe Biden accused of 'total surrender to Putin' over Nord Stream 2 pipeline, The Telegraph, 21 July 2021, (https://www.telegraph.co.uk/world-news/2021/07/21/joe-biden-accused-total-surrender-putin-nord-stream-2-pipeline/)

[19] US Ambassador Says Washington Will Continue Economic Pressure on Minsk, Teller Report, 7/20/2021, (https://www.tellerreport.com/news/2021-07-20-us-ambassador-says-washington-will-continue-economic-pressure-on-minsk.rybLVdY4R_.html)

[20] Вашингтону протянули базу помощи, Коммерсантъ, 17.07.2021, (https://www.kommersant.ru/doc/4907714)